الاغتراب من المنظور النفس اجتماعي

أ. خولة دبلة

جامعة بسكرة- الجزائر

الملخص:

من أهم المواضيع التي تقع في دائرة اهتمام تخصصات عديدة الفلسفة، علم اجتماع العمل والتنظيم، موضوع الاغتراب الذي تأخر الاهتمام به كثيرا في المجال النفسي خاصة ،هذا على الرغم من أهميته ووجوده حقا كظاهرة تستحق الدراسة و البحث العلمي ،ذلك لما عايشته المجتمعات من تغيرات سريعة في مجالات الحياة المختلفة التي يصعب استيعابها ويعجز معها الإنسان عن تحقيق الاستقرار والتوافق النفسي الاجتماعي ،ليكون الشعور المهيمن عليه هو الضياع ،القلق واللامعنى ، اللامعيارية واللاهدف لحد فقدان الشعور بالانتماء ليكون هنا ضمن دائرة الاغتراب النفسي،لتكون صيرورة سلوكه أقرب للتكيف المرضي، ،لان ما أكدته الدراسات فعلا هو إمكانية أن يكون الاغتراب النفسي في حالات معينة بيئة صالحة لتفريخ سلوكات لا اجتماعية تسبب معاناة للفرد وتهديدا للمجتمع .

وسعيا منا للإسهام ولو بتغطية متواضعة لموضوع الاغتراب، كانت هذه الدراسة كمحاولة للتقرب من أهم العناصر المتعلقة به نظريا، مفهومه،مكوناته، و مخاطر الاغتراب النفسي عرض بعض الدراسات حول علاقة الاغتراب ببعض الظواهر المرضية .

Abstract:

One of the most important topics in many disciplines of interest serving philosophy, sociology, work and management are the themes of Alienation which was neglected in the past, although its importance and quality relies on phenomenon worth studying

The community flourished from the rapid changes in various areas of life that are difficult to cope up with thus interfering with the stability and cohesion of psychological communities. The end results from these qualms contribute to Social issues such as a loss of a sense of belonging, psychological alienation, lack of goals and motivation, as confirmed by the studies.

Therefore in an effort to contribute to even modest coverage of the subject of Alienation , this study was an attempt to get close to one of the most important elements for the theory, concept, components, classification of expatriate, and feeling the risk of psychological alienation view some studies about the relationship of the alienation of some pathological phenomena.

مقدمة:

الاغتراب ظاهرة إنسانية عامة سوية مقبولة حينا كاغتراب المفكرين والمبدعين، مرضية معوقة حينا آخر، وتتعدد مظاهر الاغتراب المرضي، من أبرزها ما تفصح عنه الإحصاءات والدراسات النفسية الاجتماعية، من زيادة خطيرة في انتشار الأمراض النفسية والعقلية وإدمان الخمور والمخدرات والانحلال الجنسي وثورات الرفض والاحتجاج في بلدان كثيرة من العالم، وتتعدد هذه المظاهر دينية، اقتصادية، اجتماعية ثقافية، سياسية ،ويعد الاغتراب النفسي الحصيلة النهائية للاغتراب في أي شكل من أشكاله ومنه يعتر الاغتراب النفسي موضوع جدا مهم للدراسة.

1 . لمحة عن نشأة الاغتراب:

في مجال التعرف على نشاه مفهوم الاغتراب وتطوره، يعتبر الفيلسوف" فيخته .FICHTE. J W" هو أول من صاغ اللفظة الألمانية -ENTFEMDUNG -

ولكن يعتبر هيقل أول من استخدم الاغتراب في إطار منهجي بوصفه خاصية وجودية متأصلة في وجود الإنسان وقد كان للاغتراب عند هيقل معنى مزدوج :معنى ايجابي يقصد به تخارج الروح وتجليها على نحو إبداعي ،والمعنى السلبي في عدم قدرة الذات في التعرف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات.إلا أن مصطلح الاغتراب اخذ البعد الأحادي بفقده المعنى الايجابي ،هذا ما جعل الاغتراب ينتشر في العلوم النفسية والفلسفية.

أما بالنسبة ل كارل ماركس Marx فقد استخدم مفهوم الاغتراب خاصة في كتاباته الدينية السياسية، إلا أن تركيزه على استخدام هذا المفهوم كان في تحليلاته الاقتصادية خاصة في مجال تحليل العمل و تقسيمه.(مجدي احمد محمد عبد الله، 2001، ص32)

2. تعاريف الاغتراب:

2-1-المسار اللغوي لمفهوم الاغتراب النفسي:

2-2-1-**في اللغة اللاتينية**: إن المقابل للكلمة العربية "اغتراب"هو الكلمة الانجليزية Alienation الكلمة الفرنسيةAliénation وقد اشتقت أصلها من الكلمة اللاتينية Aliénation وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني Alienare والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر (عبد اللطيف محمد خليفة، 2003،ص23)

والثابت أن مصطلح الاغتراب ظهر في اللغة اللاتينية كترجمة لبعض المصطلحات الإغريقية والتي تشير لحالة الكائن خارج ذاته ولهذا يشير الاغتراب إلى حالة الإنسان الذي تجاوز ذاته.

وتشير استخدامات الكلمة اللاتينية القديمةAliénation في اللغتين الانجليزية والفرنسية إلى عدة معان نركز فيها على المعنيين الاجتماعي والسيكولوجي، أما الاستخدام الاجتماعي عامة كان في مجال العلاقات الإنسانية، فقد استخدمت كلمة الاغتراب للتعبير عن الإحساس الذاتي بالغربة أو الانسلاخ Détachement سواء عن الذات أو عن الآخر، يمكن أن تدل هنا على معاني التسبب في فتور علاقة حميمية مع شخص ما أوالى حدوث انفصال أو شقاق، ومازال هذا المعنى هو الشائع في الاستخدام الحديث لكلمة الاغتراب Aliénation حتى وقتنا الحالي.

المعنى السيكولوجي يدل على حالة من فقدان الوعي وعجز وفقدان القوى العقلية والحواس ، وإلى وجود اغتراب داخل الذات ،وجود علاقة فاترة مع الآخرين،و يشير أيضا إلى اغتراب الذات عن واجباتها. (عبد اللطيف محمد خليفة، 2003،ص25)

كما استخدم للدلالة على الشخص المجنون كما ظهر في كتابه"المجتمع السوي" لاريك فروم الذي تدل عليه الكلمة الفرنسية"Aliène" ولا تزال الكلمة الانجليزية لحد الآن تستخدم للدلالة على مرض الذهان.

2-2-2 في اللغة العربية: نجد ان كلمة الاغتراب مشتقة من (غرب) تعني (ذهب) ومنها الغربة وتدل على معنى البعد، فغريب أي بعيد ويدل معنى الغربة المكانية والغربة الزمانية عن وطنه والجمع غرباء وهم الأباعد، واغتراب فلان أي تزوج من غير أقاربه. (محمد جمال الدين ابن منظور،1997،ص 637،640)

2-3 الاغتراب النفسي كما جاء في عدد من الموسوعات والقواميس والمعاجم:

2-3-1-في موسوعة لالاند الفلسفية: عرف الاغتراب بأنه ارتهان أو الاستلاب Aliénation وهو مجاز حالة المنتسب إلى أخر." مملوك" .

كما يدل على حالة من اضطرابات الذهن العميقة "استلاب عقلي" غير أن بعض علماء الأمراض العقلية المعاصرين يتجنبون استخدام هذه الكلمة. (خليل أحمد خليل،2001،ص63)

2**-3-2 في قاموس علم الاجتماع**:ورد ضمن هذا القاموس أن هيقل هو أول من استخدم هذا المصطلح ويرجع الفضل إلى كارل ماركس في تحويله إلى أداة للتفسير في الاستقصاءات السوسيولوجية، مع انه استخدمه في تحليلاته الدينية والسياسية إلا أن تركيزه عليه في مجال تحليل العمل هو الذي أعطاه قيمته وأدى إلى انتشاره في العلوم الاجتماعية.(محمد عاطف غيث، 2005، ص 20)

2-3-3: في قاموس علم النفس: ورد مصطلح الاغتراب العقلي كاضطراب في الفكر، الذي يجعل الحالة الاجتماعية صعبة، حيث أن هذا المصطلح يأخذ معناه العميق بالرجوع إلى المجتمع. فالمغترب عاجز على أن يحيى حياة طبيعية بالامتثال والالتزام إلى قوانين الجماعة، فهو بهذا "مغترب" أي غريب عن الجماعة.

وللمغترب وسائل تعبير غريبة ومواقفه وتصرفاته تفهم بصعوبة، مظهره غير المتكيف يشكل غالبا مصدر خطر اجتماعي ينشط حجزه في مستشفى متخصص فالمغترب عقليا يتميز بعلاقته غير الحية بالعالم الخارجي. ورد بأنه منذ عام 1958مصطلحات المغترب والاغتراب العقلي في طريق الاختفاء من التعبير الطبيعي لتكون معوضة ب"مريض" "مريض عقلي" و"ذهان".(NorbertSillamy, 2003p16)

2-3-4- في قاموس العلوم السلوكية: "يعنى تدمير وانهيار العلاقات الوثيقة وتمزق مشاعر الانتماء للجماعة الكبيرة، كما في تعميق الفجوة بين الأجيال أو زيادة الهوة الفاصلة بين الجماعات الاجتماعية عن بعضها البعض الأخر".

2-3-5- في قاموس المعارف السيكولوجية: "الاغتراب يدل على حالة أو عملية يكون فيها شيء ما مفقودا غريبا عن الشخص الذي يمتلكه أصلا، فمفهوم ماركس للعمل المغترب يشير إلى اغتراب العامل عن إنتاجه في العلاقات الرأسمالية للإنتاج".

2-3-6- في معجم علم النفس والطب النفسي: "انهيار أي علاقات اجتماعية بينية شخصية" وفي الطب النفسي "الاغتراب يشير إلى الجفوة بين الفرد ونفسه والتباعد بينه وبين الآخرين وما يتضمنه ذلك من تباعد أو غربة للفرد عن مشاعره الخاصة التي تستبعد من الوعي خلل المناورات الدفاعية ويشاهد الاغتراب في أوضح صوره لدى مرضى الفصام". (عبد اللطيف محمد خليفة ، 2003، ص ص 31،30)

2-4-الاغتراب النفسي حسب بعض العلماء يعرف :

* **اريك فروم** Froom الاغتراب 1955: "نمط من التجربة يعيش فيها الإنسان كغريبا أي غريبا عن نفسه، لم يعد يعيش لنفسه كمركز لعالمه وكخالق لأفعاله، بل أن أفعاله ونتائجها يصبحون سادته الذين يطيعهم أو حتى يعبدهم".(حسن محمد حسن حماد، 1995، ص37)

* أما **هورني** فتعرفه بأنه: "طمث للتلقائية عند الفرد مما يجعله في حالة اغتراب عن ذاته فالمغترب شخص يجهل تماما ما ذاته الواقعية وان الفرد يشعر بتباعد بين ذاته وبين الصورة المثالية التي يجدها الفرد لذاته داخل ذهنه".

* أما **فيكتور فرانكل فيري يرى** في الاغتراب :"عدم وجود معنى في حياة الفرد فإرادة المعنى هو القوة الدافعية الأولية للإنسان وأن أساس إرادة المعنى هو الشعور بالمسؤولية فكل شخص له مهمة ورسالة في الحياة ومن يمتلك ما يعيش من أجله فإنه غالبا يتحمل بأي طريقة وأي حال.

*أما **اريكسون:** "تشتت الأنا الناتج عن عدم القدرة على صياغة و تطوير و جهة نظر متماسكة نحو العالم وموقف الفرد منه".

*أما **كمال سعد** فقد أوضح مفهوم الاغتراب في كونه:

- فقدان علاقة و بخاصة عندما تكون العلاقة متوقعة.
- حالة يظهر فيها الأشخاص و المواقف المألوفة للفرد كموضوعات غريبة عليه.

- حالة يشعر فيها الفرد أن ذاته غير حقيقية.

-حالة يفقد فيها الفرد الوعي بالعمليات النفسية.(زينب شقير،2002،ص ص 4،3)

*تعرف **وفاء فتحي** 1996 الاغتراب "شعور الفرد بالعزلة والضياع والوحدة وعدم الانتماء وفقدان الثقة، والشعور بالقلق والعدوانية ورفض القيم والمعايير الاجتماعية والاغتراب عن الحياة الأسرية والمعاناة من الضغوط النفسية". (سناء حامد زهران، 2004،ص104)

ويعرف **مصطفى بوتفنوشت** الاغتراب على أنه "التجرد من القدرات الخاصة للفرد ليحل محلها مظاهر غير سوية، و الخضوع الإرادي أو اللاإرادي لسلطة القيم التي ليست من المجتمع الأصلي للفرد " (Mostefa Boutefnouche, sans date p121)

3-مكونات الاغتراب:

على الرغم أنه لا يوجد اتفاق تام بين الباحثين على معنى محدد لمفهوم الاغتراب فإن هناك اتفاقا بينهم على العديد من مظاهره وأبعاده والتي توصلوا إليها من تحليل هذا المفهوم و إخضاعه للقياس و تتمثل أبعاد أو مكونات الاغتراب في:

3-1العزلة الاجتماعية Social Isolation

وتعني شعور الفرد بالوحدة وانسحابه وانفصاله عن تيار الثقافة السائدة وشعوره بعدم الاندماج وتبني مبادئ أو مفاهيم مخالفة، مما يجعله غير قادر على مسايرة الأوضاع القائمة. بحيث يكون الفرد في حالة تناقض بين ما هو مادي وما هو نفسي، فهو موجود في المجتمع من الناحية المادية لا من الناحية النفسية. (حامد عبد السلام زهران ،إجلال محمد سري،2003،ص404)

ويمكن أن يعرف هذا المعنى للاغتراب في ضوء قيم المكافأة Reward values فالمغتربون من المعنى الانعزالي هم الذين يولون قيمة مكافأة جد ضئيلة للأهداف والمعتقدات التي تمنح درجة عالية في القيمة أو التقدير في إطار مجتمع ما. وهذا هو تعريف الاغتراب في مقياس نيتلرNittler الذي يتكون من عدة جمل تعكس درجة موافقة الفرد على الثقافة الشعبية، هذا المقياس يشمل على سبيل المثال السؤال:هل تقرأ مجلة كذا؟ وهي المجلة التي تعتبر رمزا للشعبية. (سامية محمد جابر 2004، ص ص 172،171)

فالعزلة هنا هي شعور الفرد بمسافة كبيرة بينه وبين الآخرين وبالابتعاد عن المجتمع عن ثقافته السائدة وعن كل التعزيزات التي يمدها الاحتكاك بالأخر، ولعل أفضل أسلوب يوضح طبيعة هذا المعنى للاغتراب كون الأفراد الذين يحيون حياة عزلة لا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها أفراد المجتمع.

3-2 اللامعيارية Anomie or Normlessness

أخذ من وصف **دوركايم** لحالة الانومي أو اللامعيارية التي تصيب المجتمع وهي حالة انهيار المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه وقد ظهر مصطلح الانومي في اللغة الانجليزية عام1951 تقريبا.

وفي هذا السياق يفسر سميان Seman اللامعيارية على أنها الحالة التي يتوقع فيها الفرد بدرجة كبيرة أشكال السلوك التي كانت مرفوضة اجتماعيا غدت مقبولة أي لم يعد للأشياء ضوابط معيارية ما كان صواب يصبح خطا والعكس، من منطلق إضفاء صفة الشرعية على المصلحة الذاتية للفرد وحجبها عن القواعد. (أمل الأحمر، 2001،ص97)

فاللامعيارية هي غياب نسق منظم للمعايير الاجتماعية مما يؤدي إلى مغايرة معايير الدين والقانون والعرف وعدم مسايرتها ويستخدم مصطلح اللامعيارية لمعان ثلاث:

- التفكك الشخصي وخاصة هذا النوع الذي يؤدي إلى وجود من يفتقدون الإرشاد الأخير هو القانون،وذلك ما يهدد البناء والتماسك الاجتماعي.
- الموقف الذي يشهد صراع بين المعايير وبين الجهود والتي يبذلها الفرد لمسايرة المعايير.
- الموقف الاجتماعي الذي تغيب فيه المعايير نتيجة التغيرات الاجتماعية والثقافية تغلب التوقعات السلوكية العادية للفرد. (سناء حامد زهران،2004،ص 108)

ويمكن القول أن اللامعيارية شعور بالغموض أو نوع من الرفض للقواعد والتعليمات التي يفرضها المجتمع، ويمكن القول والتأكيد بان أنماط السلوك غير الاجتماعية التي يرفضها المجتمع يمكن أن تكون ضرورية لتحقيق غايات هامة في حياة الفرد وبالتالي أن تكون اللامعيارية نوع من التغيير الاجتماعي الجديد والناتج عن التقدم العلمي التكنولوجي. (خير الدين عصار، 1984، ص180)

3-3 العجز POWER LESSNESSM:

ويقصد به شعور الفرد باللاقوة، و عدم ا لقدرة على التحكم أو التأثير في مجريات الأمور الخاصة به أو في تشكيل الأحداث العامة في مجتمعه وبأنه مقهور ومسلوب الإرادة ولا يقدر على الاختيار. (زينب شقير،2002،ص7)

وأن الفرد يتوقع عجزه عن تحقيق ما يريده من مكافأة أو تعزيز لاعتقاده بعجزه في تحديد مسار الأحداث أو النتائج التي نشأت نتيجة لهذه الأحداث. (فاروق السيد عثمان،2000 ، ص19)

وقد وضع أحمد النكلاوي تعريفا إجرائيا لبعد العجز و خبرة افتقاد القدرة كنمط اغترابي ، بأنه " الحالة التي يصبح فيها الأفراد في ظل سياق مجتمعي محدد، يتوقعون مقدما أنهم لا يستطيعون أولا يملكون تقرير أو تحقيق ما يتطلعون إليه من نتائج أو مخرجات من خلال سلوكهم أو فعالياتهم الخاصة، أي أنهم يستشعرون افتقاد القدرة على التحكم في مخرجات هذا السياق أو توجيهها، الأمر الذي يولد خبرة الشعور بالعجز والإحباط و خيبة الأمل في إمكانية التأثير في متغيرات هذا السياق والقوى المسيطرة عليه". (أحمد النكلاوي،1989،ص121)

4-3 اللامعني Meaning lessness:

إحساس الفرد أن الحياة لا معنى لها وأنها خالية من الأهداف التي تستحق أن نحيا وان نسعى من اجلها، وأن كل ما يحيط به من وقائع وأحداث فقد دلالته ومعقوليته، ومنه عدم اليقين ولا يستطيع

الفرد تحديد معنى لما يقوم به وما يتخذه من قرارات، حينما تكون المستويات الدنيا المطلوبة من الوضوح في اتخاذ القرارات غير متوفرة، فيسير الفرد وفق منطق غير مفهوم وغير معقول، وبالتالي يفقد واقعيته ويحيا باللامبالاة.

3-5التمرد Rebellion

هذا البعد يترجم إهدار الفرد لقيمته كإنسان وعضو في المجتمع من مطلق عجزه عن المشاركة الايجابية في اتخاذ القرارات أو مجرد التفكير في حياته ومستقبله ومصيره وبذلك يتحول إلى أداة مستخدمة لا قيمة لها في ذاتها. (محمد عبده محجوب، يحيى مرسي عبد بدر،2005،ص174)

4- اشكال الاغتراب النفسي:

تعدد ت أنواع الاغتراب منها :

4-1- **الاغتراب الذاتي**:

هو انتقال الصراع بين الذات والموضوع (الأخر) من المسرح الخارجي إلى النفس الإنسانية هو اضطراب في العلاقة التي تهدف إلى التوفيق بين مطالب الفرد وحاجاته ورغباته من ناحية وبين والواقع وإبعاده من ناحية أخرى، وهو نوع الخبرة التي يخبر المرء فيها نفسه كغريب فالشخص المغترب هو شخص فقد اتصاله بنفسه وبالآخرين، وهي خبرة تنشا نتيجة للمواقف التي يعيشها الفرد مع نفسه ومع الآخرين ولا تتصف بالتواصل والرضي، ومن ثم يصاحبها الكثير من الأعراض التي تتمثل في العزلة والانعزال والتمرد والرفض والانسحاب والخضوع، أي أن الاغتراب عن الذات هو شعور الفرد بان ذاته ليست واقعية، أو تحويل طاقات الفرد وشعوره بعيدا عن ذاته الواقعية.

2.4. الاغتراب الاجتماعي(عن الآخرين): هو شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، ونقص المودة والألفة مع الآخرين وندرة التعاطف والمشاركة وضعف أواصل المحبة والروابط الاجتماعية.

3.4. الاغتراب السياسي: ويتمثل في التباعد والتقاعس عن أداء دور ليس لعدم القدرة بل لتقييم الفرد لذاته وللموقف السياسي وتصوره للموقف أهم في إنتاج الاغتراب من الموقف الفعلي أو الواقعي، و يرى أحمد فاروق حسن (1992)أن الاغتراب السياسي له خمسة أبعاد هي:

-انعدام المعنى السياسي.

-انعدام المعيار السياسي.

-العزلة السياسية.

-اللامبالاة السياسية.

-فقدان الاهتمام بالسياسة.(سناء حامد زهران،2004،ص 111)

4.4. الاغتراب الديني: يرى "**فيورباخ**" أن الاغتراب الديني هو أساس كل اغتراب ،بينما يرى **ميلز** في نظريته الاجتماعية ذات الطابع السيكولوجي على أن الاغتراب الديني مظهر من الاغتراب

الاجتماعي، حيث أن المؤسسات الدينية هي بطبيعتها مؤسسات اجتماعية، لهذا فهي تفرز الاغتراب كغيرها من المؤسسات الاجتماعية.

5.4.الاغتراب الثقافي:هو إبتعاد الفرد عن ثقافة مجتمعه ورفضها والنفور منها والانبهار بكل ما هو غريب أو أجنبي من عناصر الثقافة، وخاصة أسلوب حياة الجماعة و النظام الاجتماعي، وتفضيله على ما هو محلي. ومن أمثلة وشواهد على الاغتراب الثقافي استخدام أسماء أجنبية للمدن والقرى السياحية والمؤسسات الإنتاجية. (سناء حامد زهران، 2004،ص111)

إضافة انه يندر أن يجد الطلاب معنى أو مغزى لما يتلقونه في المؤسسات التربوية، ويشعرون ببعد كل ما يلقن إليهم عن الواقع المعاش، كما أن أساتذتهم لا يملكون أن يحجبوا اغترابهم الشخصي عن تلاميذهم.

5-مخاطر الاغتراب:

يكمن الخطر المهيل للاغتراب في كون مشاعر المغترب في حد ذاتها أرضية ميسرة لسير الفرد ضمن قالب نفسي اجتماعي مرضي، و بتخصيصنا هذه المساحة التي توضح امتداد وارتباط الاغتراب النفسي بعدد من الظواهر النفسية الاجتماعية غير السوية تتضح عمق مشكلة الاغتراب النفسي.

5-1. الاغتراب والهامشية:

يعرف كمال الدسوقي الشخص الهامشي بأنه " الشخص الذي ليس مشاركا بالكامل في جماعة ما أو خصوصا الذي يقف على الحدود بين جماعتين: غير واثق من عضويته لأي منها"، ويتسق ذلك مع تعريف فرج طه للشخصية الهامشية بأنها تشير إلى" الفرد الضعيف التأثير على من حوله، بحيث يكون ضعيف الوزن قليل الأهمية في مجتمعه أو جماعته".(عبد اللطيف محمد خليفة ،2003،ص142)

ولقد إستهل الباحث **فاينستناير** Vincent peyre دراسته التاريخية بتوضيح كلمة الهامشية بأنها مفهوم إجمالي تشمل عدة مواقف، المنحرف والمتشرد من الناحية القانونية، المجنون والمدمن من الناحية الصحية، وبين الأمي والمهاجر من الناحية الثقافية وبين الفقير جدا والعاطل عن العمل من الناحية الاجتماعية والاقتصادية. (بركان محمدأرزقي،1989،ص27)

إن مفهوم الهامشية المطبق خاصة على المراهق يرمي إلى الخطر، من جهة أن المراهق الهامشي خطير على المجتمع، من جهة أخرى خطر يستوجب حمايته.

فيما يخص علاقة الاغتراب بالهامشية فقد تبين إن المهمشين هم فئة أصابها الشعور بالعجز والاغتراب نظرا لعدم قدرتها على تغيير الواقع والبعد عن المشاركة الاجتماعية والسياسية والثقافية لكونهم يشعرون بالاغتراب عن مجتمعهم، وفي هذا الشأن أوضح شولته Shulte انه يندر أن يوجد

بين الناس من يستطيع مواصلة الحياة السوية دون الدخول في نحن أو الشعور"بنحن" والذي يعتبر مظهرا جوهريا للتعامل الاجتماعي بين أعضاء الجماعة. (عبد اللطيف محمد خليفة، 2003،ص144)

وقد كشفت دراسة **باركر**Parker عام 1977 عن وجود ارتباط ايجابي إحصائيا بين الهامشية والاغتراب، وممثلا في الشعور بالعجز واللامعنى العزلة الاجتماعية.

توصل جلال معوض1993 إلى أن ثقافة الهامشية يمكن أن توصف بأنها ثقافة الاغتراب، وان هذا الاغتراب لا يعود بالدرجة الأولى إلى عجز المجتمع عن استيعاب هؤلاء الأفراد ودمجهم في نتيجة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. (عبد اللطيف محمد خليفة،2003،ص144)

فما أشارت إليه الدراسات السابقة أن الاغتراب بما يتضمنه من مشاعر اللامعنى العجز والعزلة واللامعيارية والاغتراب عن الذات والشعور بالانتماء اللامبالاة. يعد من أكثر الخصائص المميزة للإنسان الهامشي.

2-5. الاغتراب والإرهاب والعنف:

إن الإنسان الذي يعتقد أنه يملك الحقيقة المطلقة هو إنسان شديد الخطر لأنه يرفض الحوار مع الآخرين كما يرفض أفكارهم وعقائدهم وعندما تختلط المقاييس وتتزعزع القيم إبان الأزمات وتقتضي الحال الراهنة قيام مبادئ جديدة كلية وبشكل سريع فلا يمكن إلا أن يفرض الجديد و بعنف شديد يصل إلى حد الإرهاب. (عبد الناصر حريز،1996،ص ص62،63)

ويعرف الإرهاب على أنه "نوع من استخدام طرق عنيفة الهدف منها نشر الرعب لإضعاف الحكم و تحقيق تغيرات سياسية". (كمال حماد،2003،ص ص 23،24)

وليس غريبا أن نجد ارتباط بين الاغتراب والإرهاب إذا تعرفنا على بعض الخصائص المميزة للإرهابيين من واقع العديد من الدراسات:

- التناقض الوجداني والفكري تجاه السلطة(خضوع، عدوانية، فقدان التوازن)
- عدم وضوح الرؤية وعدم القدرة على الاستبصار.
- الانفصال المعنوي.
- اضطراب الهوية.
- الاتجاه إلى تدمير الذات داخليا وخارجيا.
- الانتماء إلى مجموعات تقيم العنف والعدوان.(عبد اللطيف محمد خليفة،2003،ص156)

هذه الخصائص التي تشكل السلوك العدواني وتزيد من انتشاره.

أما بالنسبة للعنف فقد عرف بأنه" و فيمل يخص علاقة الاغتراب بالعنف فقد توصل " اليس وزميله" إلى وجود علاقة ايجابية بين الشعور بالاغتراب و العنف الذكوري، حيث تزايد استخدام العنف نحو الزيجات من قبل الرجال أو الأزواج الذين يشعرون بالاغتراب. (عبد اللطيف محمد خليفة،2003،ص151)

كما تناول **"علي وطفة"** علاقة الاغتراب بالعنف، موضحا أن الاغتراب ليس نتيجة فحسب بل كذلك سبب، لان ممارسة العنف والإرهاب ظاهرة اغترابية في حد ذاتها. وعلى هذه الصورة يكمن الاغتراب في أصل العنف، و يكمن العنف في أصل الاغتراب، وتتداخل الظاهرتان في كينونة واحدة، و يبنى على ذلك أن تكون الشخصية الاغترابية قمعية والشخصية القمعية اغترابية في آن واحد. (علي وطفة ،1998، ص ص241،280)

5 -3 -الاغتراب وتعاطي المخدرات:

يمكن النظر للاغتراب كمناخ مهييء للعديد من الاضطرابات والأمراض الاجتماعية، أبرزها تعاطي المخدرات، حيث كشفت العديد من الدراسات عن وجود علاقة بينها وبين الاغتراب، فهي صورة تمثل استجابات الخبرة الشخصية المغتربة بشعورها بالعجز واللامعنى والغربة، وتزايد استخدام المخدرات أصبح معيار تزايد حالات الاغتراب، إذ يعد تعاطي المخدرات من صور التكيف لشعور الفرد بالاغتراب.

ما توصلت إليه دراسة لإيمان عبد اله ألبنا 1991 في دراستها للعلاقة بين الاغتراب وتعاطي المخدرات لدى طلبة الجامعة، أشارت النتائج:

أن المتعاطين أكثر اغترابا بالمقارنة مع غير المتعاطين حيث تزايدت درجة المتعاطين بشكل جوهري على كل من التشيؤ، اللامعيارية، اللامعنى، والعجز واللاهدف وكانت الفروق دالة إحصائيا.

كما كشفت دراسة لجاكسون وزملائه عن ارتباط الاغتراب بكل من العنف وتعاطي المخدرات.

وكشفت دراسة **سوليفان** و**برمز** عن وجود علاقة بين الاغتراب والانتحار وتعاطي المخدرات.(عبد الطيف محمد خليفة،2003 ص 159)

كما كشفت العديد من الدراسات عن ارتباط الاغتراب ممثلا في كل من العجز، اللامعيارية، العزلة الاجتماعية وغربة الذات بتعاطي المخدرات والكحوليات من هذه الدراسات دراسة لـ Seeman &Anderson,1983 أجريت على العاملين من الذكور، تشير نتائجها إلى أن الشعور بالاغتراب يعد من أكثر المنبئات بمشكلات تعاطي المخدرات، وأن الاغتراب داخل بيئة العمل من العوامل التي يمكن أن تؤدي إلى التعاطي. حيث تبين تزايد نسبة المتعاطين للمخدرات بين الأشخاص الأكثر شعورا بالعجز والاغتراب والذين لا يلقون دعما اجتماعيا. (عبد الطيف محمد خليفة ،2003،ص160)

5-4- الاغتراب و الاكتئاب:

وكذلك تظهر خطورة هذه الظاهرة في الاقتران الواضح بين الشعور بالاغتراب والاكتئاب يمكن فهمه في إطار الدراسات التي تناولت علاقة مفهوم الذات بالاكتئاب. فقد توصل غريب عبد الفتاح غريب(1994) إلى علاقة سالبة بين مفهوم الذات والاكتئاب في مرحلة المراهقة.

وربط هذه النتيجة بما طرحه "بك" باعتباره مؤسس الاتجاه المعرفي في النظر إلى المشكلات الانفعالية، وركز على أهمية مفهوم الذات السالب في نشأة الاكتئاب وتطوره. وينظر "بك" إلى

الاكتئاب على انه تنشيط لمجموعة من ثلاثة أنماط معرفية، تدفع الفرد لأن يرى نفسه وعالمه ومستقبلة بطريقة مزاجية خاصة. وفيما يتعلق بالنمط الأول من هذا الثالوث وهو المفهوم السالب عن الذات، يرى" بك" أن الشخص المكتئب يميل لان يرى نفسه بطريقة سالبة، انه يعتبر نفسه عاجزا، غير كفء أو عديم القيمة، يميل إلى أن يعزو تجاربه وخبراته غير السعيدة إلى عجز في ذاته. كما يرى هذا الفرد نفسه انه غير مرغوب فيه وعديم الفائدة بسبب عجزه المفترض، ويتجه إلى رفض نفسه نتيجة لذلك ،ويختل مفهوم الفرد عن ذاته، يؤدي ذلك إلى معاناة الفرد من المشاعر الاكتئابية بل والشعور بالاغتراب أيضا. (عبد اللطيف محمد خليفة ،2003ص ص186 ،187)

5-5- الاغتراب والقلق:

تبين أن هناك علاقة ارتباطيه موجبة ذات دلالة إحصائية بين الاغتراب والقلق، مما يعني أن الشعور بالاغتراب يلازمه دائما الشعور بالقلق والتوتر. وهذا ما توصل إليه محمد إبراهيم عيد (1987) من أن هناك علاقة ايجابية بين أبعاد الاغتراب الخمسة(العزلة الاجتماعية، اللامعيارية، الشعور بالعجز، اللامعنى التمرد) وبين القلق. ويتضح من ذلك أن هناك اقترانا واضحا وجليا بين الاغتراب والشعور بالقلق وعدم الأمان النفسي بل وفقدان الثقة ورفض القيم والمعايير السائدة. وفي هذا الشأن يمكننا الاستعانة بما طرحه مصطفى سويف(1968) في تفسيره للاستجابة التطرفية، من أن المسالة تبدأ من الهامشية يليها اختلال الشعور. (عبد اللطف محمد خليفة،2003،ص ص 234 ،235).

5-6- الاغتراب و بعض متغيرات الشخصية:

استهدف البحث دراسة العلاقة بين الاغتراب من ناحية وبين بعض المتغيرات الشخصية لدى شباب الجامعة وهي: الإنقباض والهستيريا والانحراف السيكوباتي، الفصام والانطواء الاجتماعي من ناحية أخرى، وتناول الباحث ظاهرة الاغتراب بالدراسة وعرض عدد من البحوث السابقة، و وضع فرضيتين أحدهما ارتباطيه خاص بالعلاقات بين متغيرات البحث، والثانية لفارق بين مرتفعي الشعور بالاغتراب ومنخفضي الشعور بالاغتراب في متغيرات الشخصية المقاسة. وتكونت العينة من 276 طالبا وطالبة من الفرقة الرابعة بكلية التربية بدمياط واستخدم الباحث مقياس الاغتراب (إعداد عادل الأشول وآخرون) واختبار الشخصية متعدد الأوجه (إعداد عطية هنا وآخرون)، وأوضحت النتائج وجود فروق دالة بين كل من مرتفعي ومنخفضي الشعور بالاغتراب في متغيرات الانقباض والهستيريا والفصام والانطواء الاجتماعي لصالح مرتفعي الشعور بالاغتراب أي أن درجاتهم أعلى على هذه المتغيرات. (سناء حامد زهران ،2004 ، ص 147).

مما سبق يمكن أن يكون الاغتراب بيئة ممهدة لسير الفرد ضمن قالب نفسي اجتماعي مرضي. .فهو ظاهرة بالفعل تستحق الدراسة.

6-الاغتراب و العزلة القيمية:

تعتبر منظومة القيم الشخصية من أهم المكونات المؤثرة في سلوك الإنسان لان القيم تتيح لنا أن ننظر للفرد باعتباره كائن متفاعل مع البيئة التي تحيط به، وليس مجرد كائن مكون من مجموعة من السمات النمطية الجامدة، فالقيم باعتبارها" معايير وجدانية فكرية يعتقد بها الأفراد وبموجبها يتعاملون مع الأشياء بالقبول أو الرفض". (خليل عبد الرحمان المعايطة ،2000،ص185)

وبالتالي تمثل مركزا رئيسيا في تكوين سلوك الفرد ونسقه المعرفي واتجاهاته حيث يرى معظم الباحثين بأنها تمثل إطارا مرجعيا حاكما تتمحور من حوله وتتشكل وفقا له أفكار الفرد وأفعاله. (عبد اللطيف محمد خليفة،2003،ص285).

وقد أوضح كراثول وزملائه 1964 أن القيم تمضي في ارتقائها عبر مستويات ثلاث: التقبل acceptance حيث مجرد الاعتقاد بأهمية قيمة معينة.

التفضيل preference حيث تفضيل الفرد لقيمة معينة.

الالتزامcommetment أين يلتزم الفرد بالقيمة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفرد يمتد إلى مستوى الالتزام بالقيمة إذا أخضت صبغة وجدانية ومعرفية، هنا نحاول تفسير العلاقة بين القيمة والاغتراب النفسي عندما يمتد الفرد بتبنيه لقيم معينة إلى أقصى درجات الالتزام أين يشعر بالرضا والارتياح لقيامه بسلوكات معينة فيعيش التوافق النفسي والاجتماعي على إثر اتفاقها مع الضمير اللاشعوري بإرضائه للأنا الأعلى وخاصة عندما يقابل التزامه بهذه القيم تعزيز وقبول أللآخر، خاصة إذا كان هناك نوع من الاتفاق أو المطابقة بين ما يحمله الفرد وما يحمله المجتمع من قيم كون الفرد يميل إلى أن يكون مشابه للآخرين حسب كروم كاجان، هذا التشابه الذي يؤدي إلى التوحد والتطابق كأحد أهم الميكانزمات التي تسمح بإستدخال عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تيسر للفرد بالتالي عملية التوافق النفسي الاجتماعي.

ولكن نتساءل هنا إذا ما كان هناك تناقض أو صراع بين قيم الفرد وقيم المجتمع أو بين ما يتبناه الفرد نفسه من قيم وما يظهره من سلوك بمعنى المفارقة بيت المكونين المعرفي الوجداني وبين المكون النزوعي، فهل يمكن أن يعيش الفرد هنا اغترابا نفسيا؟

في الحقيقة يشعر الفرد باليأس والإحباط نتيجة شعوره بتلك الهوة بين قيمه وقيم الآخرين من أفراد مجتمعه، ويشعر الفرد هنا بنوع من الفر دانية من حيث تباعد المسافة القيمية مع الآخر، و كأن قيمه لم تعد تلائم ما يرتضيه المجتمع من قيم وإذا ما أدرك الفرد هذا الافتقاد إلى المطابقة والملائمة في خضم كل هذا ألا يشعر بالاغتراب النفسي!

هذا ما يوصلنا إلى ما أسماه راودز Roods بالعزلة القيمية value isolation كأحد أهم مكونات الاغتراب النفسي و ذلك في إطار النموذج الذي أطلق عليه نموذج المطابقة والملائمة بين الشخصية و البيئة Person environnement fit model ويقصد بها أن هنالك تناقضا أو صراعا بين قيم الفرد وقيم الجماعة المنتمي إليها (عبد اللطيف محمد خليفة،2003،ص294).

والعزلة القيمية تعتبر مصدر من مصادرا لاغتراب النفسي، حيث أن صعوبة تغير الفرد لقيمة نتيجة امتدادها إلى مرحلة عميقة للالتزام يمكن أن تؤدي إلى شعوره بالعجز فالاغتراب لعدم قدرته على تحقيق الملائمة لقيم المجتمع الذي في داخله ويتحرك من خلاله.

وبما أننا طرقنا الباب على موضوع القيم يفترض بنا التطرق إلى ما يعرف بالمفارقة القيمية كمصدر من مصادر الشعور بالاغتراب، أين يكون التناقض هنا داخلي ينزع الفرد من خلاله إلى سلوكات لا تتفق والمكون المعرفي والوجداني للقيمة، بمعنى التفاوت بين النسق المتصور للقيمة والنسق الواقعي، فقد لا يلتزم الفرد بما تقره قناعاته الوجدانية المعرفية للقيمة ليحقق فقط الملائمة مع المجتمع هنا تكون المفارقة القيمية طريقا للاغتراب النفسي.

فالاغتراب بالتالي موجود طالما هنالك فجوة بين الفرد والمجتمع، و كلما غاب المجال الذي تظهر فيه العلاقة المعبرة عن الذات، وما دام للفرد أفكار مثالية ينشد تحقيقها وتحول ظروف الواقع الاجتماعي دون بلوغها.

الخلاصة:

يبقى موضوع الاغتراب أوسع واهم من حصره ضمن هذه الوريقات المقدمة، فهو من الأهمية بما كان أن نلتفت إليه بدراسات وأبحاث موضوعية أكثر عمق والمام بجوانبه لماذا؟ لأنه بغض النظر عن كونه سبب أو نتيجة ،فالجدير بالذكر هو أن الفرد المغترب يكون أكثر الأفراد عرضة الوقوع فريسة الأمراض والاضطرابات باختلافها ،ولاستطيع احد إنكار تهديد هذه الظاهرة للمجتمع فهي لاتقتصر في شخص الفرد فقط بل تتجاوزه للمجتمع ،كما يقر François "La société Na plus extérieure" المجتمع ليس له خارج ،لان أي شيء يقع داخل المجتمع.فما يجب أن يكون هو دراسات ودراسات تقفز بنا نحو الفهم لمجتمعنا الذي يسمح بتصحيح الوضعية الاجتماعية بما يضمن التفاعل والتواصل الايجابيين ،ويمكن من انتماء الذات إلى هويتها واتصالها بالواقع الاجتماعي،حيث الأهداف الواضحة والشعور بالمكانة والرضا والارتياح والأمن النفسي والاندماج والتالف مع الجماعة ومنه القدرة على العطاء والإنتاج، وهذا ما يحتاجه المجتمع.

*** قـائمة المراجـــع**

أولا: المراجع باللغة العربية:

1/ القواميس:

1- خليل أحمد خليل،(2001): موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات،ط/2 ، بيروت- باريس.

2- محمد جمال الدين ابن منظور،(1997): لسان العرب، ط/6، بيروت-لبنان.

3- محمد عاطف غيث،(2005): قاموس علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية،بدون طبعة،الاسكندرية-مصر.

2/الكتب :

4-أحمد النكلاوي (1989):الاغتراب في المجتمع المصري المعاصر دراسة تحليلية ميدانية لافتقاد القدوة في ضوء الاتجاه الماكروبنيوي في علم الاجتماع دار الثقافة العلمية ، الاسكندرية – مصر.

5- أمل الأحمر(2001): بحوث و دراسات في علم النفس، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت –لبنان.

6- حامد عبد السلام زهران،اجلال محمد سري،(2003): دراسات في علم النفس النمو الاغتراب و التغريب الثقافي لدى عينة جامعية ، عالم الكتب للنشر و التوزيع والطباعة ، القاهرة – مصر .

7- حسن محمد حسن حماد(1995): الاغتراب عند اريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت -لبنان.

8- خليل عبد الرحمان المعايطة،(2000): علم النفس الاجتماعي، دار الفكر للطباعة والنشر،الإسكندرية- مصر.

9- خير الدين العصار(1984): مبادئ علم النفس الاجتماعي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.

10- زينب محمود شقير"مقيا س الاغتراب النفسي "مكتبة النهضة، مصر، 2002.

11- كامل حمادة، (2003): الإرهاب والمقاومة في ضوء القانون الدولي العام المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت- لبنان.

12- مجدي أحمد محمد عبد الله، (2001): الاغتراب عن الذات و المجتمع و علاقته بسمات الشخصية ، بدون طبعة ، القاهرة-مصر.

13- محمد عبدوه محجوب ، يحي مرسي عيد، (2005) : العنف السياسي والاجتماعي، قراءات ودراسات أنثروبولوجية، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية مصر.

14- عبد اللطيف محمد خليفة،(2003): دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، دار غريب للنشر و التوزيع ، بدون طبعة ، القاهرة-مصر.

15- عبد الناصر حريز،(1996): السياسي الإرهابي الإسرائيلي، دراسة تحليلية مكتبة مدبولي، القاهر- مصر.

16- فاروق السيد عثمان (2001): القلق وادارة الضغوط النفسية ، دار الفكر العربي ، مصر.

17- سامية محمد جابر ،(2004): سوسيولوجيا الانحراف ، دار المعرفة الجامعية بدون طبعة ، مصر.

18- سناء حامد زهران،(2004): إرشاد الصحة النفسية،عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة- مصر.

3/ المجلات:

19-على وطفة (1998): المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، مجلة عالم الفكر، مجلد27 ،(العدد2) .

4/ الرسائل العلمية :

20-بركان محمد أرزقي،(1989): الثقافة الهامشية واثرها على الانحراف،رسالة دكتوراه في علم النفس الاجتماعي الاكلنيكي، دراسة ميدانية، معهد علم النفس وعلوم التربية ، جامعة الجزائر.

ثانيا المراجع الأجنبية:

1- Sillamy n, (2003):Dictionnaire de psychologie, édition Larousse, paris.

Office Social des publications universitaires.

2-Mostefa Boutefnouche,(sans date) Systeme social Et changement social ,office des publications universitaires Alger.